

القوى الخفية ومصادر الإلهام الشعري قراءة لنفسية الشاعر العربي القديم

بقلم

د / علي كرباع (*)



ملخص

يتناول هذا المقال قضية القوى الخفية في الشعر العربي، ومصادر الإلهام الشعري، أو ما يسمى بشياطين الشعر، والتطرق إلى العملية الإبداعية ودواعيها، من خلال علاقتها بالعلم الخفي (الجن)، وحديث الشعراء عنهم وعن شياطينهم، وما مدى التأثير بهم واعتقادهم بهذه القوى الخفية، وأثر ذلك على نفسيتهم وترجمة ذلك في النصوص.

الكلمات المفتاحية: الشعر - القوى الخفية - الإلهام - العرب القدامى.

مقدمة

لقد تطرق النقاد إلى قضية مهمة أُرست دعائم العملية الإبداعية لدى الشعراء؛ ألا وهي قضية شياطين الشعر أو الجن، وأثرهم على الشعراء وما نقلوه من أشعار على ألسنتهم. إن إيمان الشعراء بهذه القضية ليس وليد صدفة، لأنه قائم على معتقدات كان العرب في الجاهلية يؤمنون بها، فقد رَوَتْ بعض الكتب أنَّ هناك قبائل قد عبدت الجن، ظانين أنَّ هناك أرواحا تحلُّ بها، أو تسير معهم. وما ذكرها الشعراء إلا لاعتقادهم بوجود قوى خفية يزعمون أنَّها تُعينهم على قول الشعر، وتُجرِّيه على ألسنتهم.

وقد روى القرشي عدة روايات منقولة أو بالأحرى منسوبة إلى الجن، وجعلها في الفصل الرابع من مقدمته، ابتدأها بما رَوَّته الجن على الشعراء أو ما أوحته لهم. حيث قال: "وعلمتُ أنه جان فقلت: أيها الشيخ إنَّك لأسوأ مني صنعا! فقال: بل أنت أظلم وألأم.... ثم قلتُ دهشا:

(*) أستاذ معاضر "ب" بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب واللغات - جامعة الوادي..

أتزوي من أشعار العرب شيئاً؟ فقال نعم أروي، أقول قولاً فائقاً مبرزاً فقلت: فارو من قولك ما أحببت فأنشأ يقول:

طاف الخيال علينا ليلة الوادي *** من آل سلمى ولم يُلمم بميعاد

إني اهتديت إلى من طال ليلهم *** في سبب ذات دكداك وأعقاد⁽¹⁾.

وفي هذا الكلام نرى القرشي قد نقل هذه القصة دليلاً على أن الجنّ - أو الشياطين - كانت تحفظ الشعر العربي وتزويه، وهذا ظناً منهم بأنّ للشعراء شياطين، وربما ارتبط الشعر بهؤلاء "فقالوا بأنّ لكل شاعر شيطانا يُلهمه الشعر، إذ يزعم الشعراء، أنّ الشياطين تُلقِي الشعر على أفواههم وتُلقنهم إياه، وتعينهم عليه، ويدعون أنّ لكلّ فحلّ منهم شيطانا يقول الشعر على لسانه فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود"⁽²⁾.

ولأنّ هذا المعتقد لم يأت من فراغ بل هو ما دار في مخيلتهم، وعلى غرارهِ نسجوا القصص والحكايات، فلا يُستبعد أن يكون هذا عن طريق السُعوذة واستخدام الجنّ التي من خلالها يأتون بأشياء خارقة للعادة، وهذا ما يجعل الناس تهابهم، ويظنون أنّها من عالم آخر لما يأتون به من أخبار وعقريات، لا تقوم بها طبيعة الإنسان.

ولأنّ هذه القضية التي تتناولها الكتب الدارسة للأدب الجاهلي ليست قضية خيالية، إذ أنّ الشعراء ذاتهم ذكروا ذلك في أشعارهم، أو نُسب إليهم الشاعر جني. فالعرب تزعم أنّ كل شاعر يستوحى ذلك الإبداع من طرفهم ويستعين بهم.

وقد نقل القرشي أسماء الشعراء وأصحابهم ومن ذلك ما رواه مطعون بن مطعون في حديثه مع الجنيّ قال له: "لقد سمعتُ بهذا الشعر منذ زمان طويل، قال للأعشى؟ قال: نعم، قال فأنا صاحبه، قلت فما اسمك؟ قال: مسعل السكران بن جندل، فعرفت أنّه من الجنّ فبت ليلة الله أعلم بها، ثم قلت له من أشعر العرب؟ قال: أرو قول لافظ بن لاحظ وهنات وهبيد وهادر ابن ماهر، قال أجل! أما لافظ فصاحب امرؤ القيس، وأما هبيد فصاحب عبيد بن الأبرص وبشر، وأما هادر فصاحب زياد الذبياني وهو الذي استنبغه فُسمي النَّابغة"⁽³⁾.

وقد أورد الجاحظ في كتابه الحيوان قصيدة يذكر فيها الحكم بن عمرو البهراني قصة العرب مع الجنّ، وكيف كانوا يعتقدون فيها إذ يقول:

وتزوَّجتُ في الشَّيبَةِ غولاً *** بغزال وصِدْفِي زُقْ خمر

سادة الجنّ ليس فيها من الجـ *** نّ سوى تاجر وآخر مُكر

وأرى فيهم شمائل إنس *** غير أن التجار صورة عفر" (4).

ومما يُنقل عن الشعراء ولقاءاتهم بهؤلاء الجن، "فقد روى الألويسي أن الأعشى خرج يريد قيس بن معد يكرب بحضر موت، فضل الطريق في أوائل أرض اليمن، وأصابه مطر، فوقعت عينه على خباء من شعر فقصده، وإذا بشيخ على باب الخباء، فسلم عليه، وأدخل ناقتة خباء آخر، وحط رحله وجلس فسأله عن اسمه والمكان الذي يقصده.... ثم أنشده قوله:

ودّع هريرة إن الركب مرّ نحل *** وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟

فلما رأى الشيخ ما نزل به -أي الأعشى- قال: ليُفرج روعك يا أبا بصير أنا صاحبك "مسحّل بن أثانة الذي ألقى على لسانك الشعر، فسكنت نفسه ورجعت إليه، وسكن المطر فدله الشيخ على الطريق" (5).

وقد روى صاحب الجمهرة في هذا الباب عدة قصص للشعراء كيف كان شياطينهم تلهمهم الشعر أو يذكرونه على ألسنتهم، فذكر قصة عن امرئ القيس، "فقلت: أتروي من أشعار العرب شيئاً، فقال: نعم فأنشدني كالمستهزئ قول امرؤ القيس في مطلع معلته.

فقا نبك من ذكر حبيب ومنزل *** بسقط اللواء بين الدخول فحوّمل.

فلما فرغ قلت: لو أن امرأ القيس يُشرّ لردّك... قال: أنا والله منحت ما أعجبك" (6).

ففي هذه القصة يتجلى لنا أن الفحول خاصة كان شعرهم نقلا على ألسنة الجن، أو ما أوحته لهم، وأن صاحبه لكانه يتتظر منه الإبداع والإلهام، لأنهم رمز للموهبة الإبداعية التي سيطرت على نفسيته، وقد نُقل عن بعض الشعراء قوله لشاعر آخر: "أنا أقول كل ساعة قصيدة وأنت تعرضها في كل شهر فلما ذلك؟ فقال: لأنّي لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبله من شيطانك، فالشيطان رمز للإبداع الذي يتفاعل به الشاعر" (7).

وإن هذا الاعتقاد من طرف أهل الجاهلية كان مرتبطاً بإيمانهم بالسحر والكهنة، "وكانوا يزعمون أن الشياطين تنزل على الشعراء كما تنزل على الكهّان، وزعموا أن الأعشى كان له شيطاناً ينث في وعيه الشعر يُسمّى مسحلاً" (8).

فالعملية الإبداعية هاته في نظرهم هي وليدة قوة خفية، وأرواح تساعد الشاعر، بل إنّ الشياطين يختلفون من شاعر إلى آخر في إلهامهم، حتى في جنسهم بين الذكر والأنثى إذ يقول أبو نجيم:

إنّي وكل شاعر من البشر *** شيطانه أنثى وشيطاني ذكر" (9).

فهذه العقلية العربية التي جعلت الشياطين أصنافاً، فهم سبب قوة الشعر ورسائته، ومن خلال هذا البيت كأن أبو نجيم يخبر أن شعره بهذه القوة والمتانة أن شيطانه ذكر، وهي علامة العزة والفخر، وأما غيره من الشعراء فلا يصلوا إلى مكانته لأن شياطينهم إناث، وهذا فيه شيء من السخرية والاستهزاء بمن ضعف شعره.

وكما أسلفنا ذكره أن هذه الاعتقادات هي من طرف الكهنة، لأنهم أخذوا هذا المعتقد منهم، "وهي أقدم فيهم من الشعر، وكان لكل كاهن جنّي فذهب الشعراء هذا المذهب، وسمّوا شياطينهم أوسمّاهم الرواة"⁽¹⁰⁾.

فلا غريب أن هؤلاء الشعراء في أشعارهم يذكرون أصحابهم من الجنّ، كما بوّب صاحب الجمهرة أن الجنّ كانت تقول الشعر وتنقله، وتزعم بلا وجودها لما قال الشاعر شعراً أبداً "فهادر صاحب زياد الذبياني وهو أشعر الجنّ وأضنّهم بشعره، فالعجب منه كيف سيّس لأخي ذبيان بما سيّس، ولقد علّم بُنيّة لي قصيدة له من فيه إلى أذنيها"⁽¹¹⁾ فإن الشعر وأصحابه من الجنّ لهم قوة خارقة، "لو كان رأي قوم نوح فيه كراي هادرما أصابهم الغرق والطوفان"⁽¹²⁾.

وإن هذا الاعتقاد كان سبباً في نسبة الكثير من الشعر إلى الجنّ، فأنطقوها واستغلّوها استغلالاً لاحقاً له، فسلّبوا منها ألسنتها وقالوا على ألسنتها الشعر، فعالم الخرافة والأساطير هذا، وليد فراغ روحي لدى الفرد الجاهلي الذي يملأ نفسه باعتقادات وينسبها لقوى خارجية أو عالم غيبي. وإن هذا القضية لم يقتصر على الشاعر الجاهلي فحسب بل نجدها حتى عند شعراء الإسلام الذين أقرّوا ذلك، ولما نقلوه عن المتقدمين، "أتى رجل إلى الفرزدق فقال: إني قلت شعراً فأنظره فأنشده قوله:

ومنهم عمر المحمود نائله *** كأنها رأسه طين الخواتم.

قال: فضحك الفرزدق ثم قال: يا ابن أخي إنّ للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره، ومن انفرد به الهوجل فسُد شعره"⁽¹³⁾.

ونلمس حقيقة هذه القصة أن الفرزدق يُقرّ بذلك، وإما استهزاء بالقائل لأنه ضحك منه، أوليها به كما كانت تعتقد العرب في جاهليتها، ففي إجابته نقد بتلطّف دون إحراج.

وكان شعراء الجاهلية يعتقدون أن شعرهم من أحرف نارية يلتقفونها من أفواه الشياطين "حيث يكون كما وصفوا الجنّي بأنّ فمه يتأجج ناراً فذلك السّاقط المغمور، من أجل هذا كان ينجح الشعراء إلى اعتقاد أن شعرهم أحرف نارية، تلقي بها الجنّ على ألسنتهم"⁽¹⁴⁾.

وفي هذا المقام سنعرّج عن بعض الشعراء الذين ذكروا شياطينهم في أشعارهم، ونستفتح بامرئ القيس الذي قدّمه القرشي في طبقة السّموط، إذ يقول: "

أنا الشاعر الموهوب حولي توابعي *** من الجنّ تروي ما أقول وتعرّض (15).
ففي هذا البيت يُقرّ الشاعر بوجود الجنّ التي توحى إليه، وهي توابع له، فهي تروي له الشعر فيختار أحسنه، ويقول في موضع آخر: "

تخيّرني الجنّ أشعارها *** فما شئت من شعرهن اضطفيت (16).
فالشاعر يحكي على نفسه أنّه المتذوّق المبدع، وإنّ الشياطين هي التي تعرض عليه شعرها، فما كان حسنا عنده قبله، وما كان سيئا رفضه، فالشيطان الذي صحب امرأ القيس لا فظ بن لاحظ، له دلالة نفسية عنده، فالدلالة اللغوية للفعل لَفَظَ تدلّ على الرّمي بشدّة وقوة، فكأن الشاعر يرمي الشعر من فمه كما يرمي البحر الشيء إلى الساحل.... ولاحظ تدلّ على النّظر بغضب من طرف العين (17).

أما الأعشى فيُعدّ من الشعراء الذين ذكر أصحابهم في أشعارهم وهو مسحل، إذ يقول: "
دعوت خليلي مسحلا ودعوا له *** جُهنّام جذعا للهجين المذمّم (18).
فالشاعر قد دعا صاحبه للرّد على خصمه الذّميم، فقد دعا خليله، "فهو يدعو صديقه مسحلا في معرض هجائه عمر بن عبد الله بن المنذر، ويذكر شيطان خصمه جُهنّام (19).
وفي هذا المعرض للرّد أشاد الشاعر بصاحبه إذ فداه ودافع عنه بقوة. وفي نفس القصيدة إذ يقول:

حباني أخي الجنّي نفسي فداؤه *** بأفّيح جيّاش العشيّات خضرم
فهذه الأبيات تحدّد العلاقة بين مسحل والأعشى، ليست تعبر عن علاقة الأعشى الفنيّة بمسحل، وإنّا تُعبر أيضا عن علاقة عاطفية تقوم بينها (20).
ويقول في موضع آخر: "

وما كنت شاعر ولكن حسبتني *** إذا مسحل سَدَى لي القول أنطق (21).
الشاعر في هذا البيت يُعبّر على شدة العلاقة بينه وبين صاحبه، ويمكن القول أنّها شيء واحد ظاهره الأعشى وباطنه مسحل. فليست العلاقة بين تلميذ ومعلم، إنّما هي صورة واحدة. وروى صاحب الجمهرة قصة عن حزام بن أرطاة عن أبي عبيدة عن شيخ من البصرة فقلت من أشعر الناس؟ فقال الذي يقول:

وما ذرفت عيناك إلا لَتَضُرِّي *** بسهميك في أعشار قلب مُقَتَّل
 فعرفت أنه يريد امرأ القيس، قلت ثم من؟ قال الذي يقول:
 تبردُ بُرْدَ رداء العرو *** س في الصَّيف رقرقت فيه العبير
 وتسخن ليلة لا يستطيع *** نباحا بها الكلب إلا هريرا.
 يريد الأعشى. قلت ثم من؟ قال الذي يقول:
 تطرد القُر بحر صادق *** وعكيك الصيف إن جاء بُقر.
 فعرفت أنه يريد طرفة (22).

فهذه الرواية التي جاء بها القرشي تُجسّد لنا مدى إيمان الجاهليين بهذه الأساطير، وكيف كانت الجنّ تروي الأشعار، وتفضّل بعضها على بعض، فتجعل هذا أشعر من ذاك، وهذا أفضل من غيره.

وإنّ هذا التعلّق بالجنّ وتأثيرها على نفس الجاهلي لما رأوا من شعرائهم تعظيمهم، وذكرهم، فهم الوسيلة والقوة الخفية التي تمكّدهم بذلك المدح والهجاء والحماسة.
 فهذه العقيدة الفاسدة تجعلهم يقدّسون كل خفي من الشياطين والآلهة والجن، " فهم يستعينون بها على حياتهم، فتارة يطلبون منها القضاء على خصومهم، وتارة يطلبون منها نصرتهم ونصرة أبطالهم، ومن ثمّ نشأ هجاء أعدائهم ومدح فرسانهم " (23).
 وها هو حسان بن ثابت يُبرّء نفسه من سرقة الشعراء، ويزعم أنّ له صاحبا من الجنّ يلهمه الشعر ويفتخر به إذ يقول:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا *** بل إنّ شعرهم لا يوافق شعري

إنّي أبيع ذلكم حسبي *** ومقالة كمقاطع الصخر

وأخي من الجنّ البصير إذا *** حال الكلام بأحسن الجر " (24).

وجاء عمرو بن كلثوم عندما حملت به أمه وبعد ولادته بسنة قالت: أتاني في ذلك الآتي من الليل فأشار إلى الصبي وقال:

إنّي زعيم لك أم عمرو *** بهاجد الجلد كريم النجر

أشجع من ذي كبد هزبر *** وقاص أقران شديد الأسر

يسودهم في خمسة وعشر " (25).

في هذه الأبيات تزعم والدته أنّها قد أتاها جنّي وأخبرها بولد وسيادته لقومه في الخامسة عشر

من عمره، فهذه البشارة بمولد زعيم وحتى سيكون سيدا لدليل قاطع على أن الإيمان بالجنّ ومحاورتهم، والإخبار بالمستقبل مُتَخَمَّرٌ في عقلية الفرد الجاهليّ.

ونجد في شعر تأبط شرا أنه كان بليل فأتاه سراً من الجنّ فخاطبهم وحدثوه قائلاً:
أتوا ناري فقلت منون أنتم؟ *** فقالوا الجنّ فقلت عموا ظلاماً⁽²⁶⁾.

يسألهم عن هويّتهم ومن هم.

وإنّ ظهور هذا الحوار بين الجنّ والبشر يُعَبِّرُ على العلاقة الوطيدة بين الشعراء والجنّ وإثباتها لصورة خيالية، تصوّر ما يراه أو ما يعتقد الجاهليّين بالليل من إثبات الجنّ إلى النار.

وإن من الأمور التي تؤكد على النّظر البعيد لدى الجنّ عندهم، ظلّهم أنّ لها القدرة على جعل الإنسان شاعراً كما في قصيدة عبيد بن الأبرص، والتي يحكي أنّه كانت له غنيمة يرعاها مع أخته فلما ورد الماء مُنعا فناما تحت الشجرة، فرأهما رجل من بني مالك فأساء الظن بهما، فسمعه عبيد بن الأبرص، فرفع يده إلى السماء وابتهل، ثم نام فأتاه صاحبه الجنّي فأوحى إليه فقام وهو يقول:

أبني الزيّنة ما غركم *** لكم الويل بسر بال حجر

ثم أصبح يقول الشعر بعدها، وكان شاعر بني أسد غير مدافع ولا منازع.⁽²⁷⁾

فالجنّ لها علاقة بفحول الشعراء فقط، الذين لهم الباع الأكبر في الشعر، "ولم تكن الجنّ لكل الشعراء بل يبدو أنها اقتصر على الفحول فقط"⁽²⁸⁾.

وإن قول الجنّ للشعر يُذكر في القصص والأساطير القديمة، ويُعتقد أنّ أبا الجنّ إبليس هو أوّل من قال الشعر وذلك في محاجاته لأبي البشر آدم عليه السلام:

تنحّ عن الجنان وساكنيها *** ففي الفردوس ضاق بك الفسيح

وكنت بها وزوجك في رخاء *** وقلبك من أذى الدّنيا مريع

فما برحت مكائدي ومكرّي *** إلى أن فاتك الثّمن الرّيح⁽²⁹⁾.

فهذه الأبيات التي تُسبّبت لإبليس في تشفّيه من آدم وإغوائه، حيث أخرجه من الجنّة. وإن كانت هذه الأبيات ليست مثبتة ومحل يقين، "وإن كانت أشعارهم محلاً للشك، إلا أنّها تُبيّن قدرة إبليس على نظم الشعر،.... وإن كان ما ينسب إليه من شعر يتسم بالضعف"⁽³⁰⁾.

القرشي في الجزء من الجمهرة قصائد تناولت هذه النقطة وإن كنّا نعتقد أنّ أهل الجاهلية يرون فيها - الجن - أحد مصادر الإلهام بل تعتبر دعماً أساسياً للعملية الإبداعية.

وهناك ذكر لبعض العوامل التي يرون فيها الخلوة والالتقاء بالجنّ، فذكروا العزلة والابتعاد

عن الناس.

كقول امرئ القيس:

تضيء الظلام بالعشاء كأنها *** منارة مُسي رهاب متبتل⁽³¹⁾

فالخلوة والابتعاد عن الناس دليل عن التفرغ، فجاءت علاقتها بالظلام والصحاري وأماكن البعد، "ويؤكد اعتقاد العرب أن الجن والقوى الغيبية تحل بالأشجار، وبإمكانها أن تلحق الضرر والأذى بهم، وإلّهم كانوا إذا ركب أحدهم مفازة، وخاف على نفسه من طوارق الليل، عمد إلى واد ذي شجر فأناخ راحلته في قرارته، وعقلها وخطأ عليها خطأ ثم قال:"

ولئنك للجنان في الأرض سيد *** ومثلك في الظلام الصعالك⁽³²⁾.

فهنا نرى أنّ العامل النفسي لدى الشاعر الجاهلي يلعب دورا كبيرا في العملية الإبداعية، وهذا من خلال الإيمان بتلك المغيبات. وقد ربط بعض الشعراء أن الحدة والقوة والسرعة لهذا العالم الذي يصور فيه أنه سبب في تجاوز الحالات الراهنة، وإن كان بعضهم قد ربطوها بغيرها كما ذكرنا علاقتها بالصحراء والليل.

فها هو ليبد يعطيهم صفة أخرى ألا وهي الثبات والقوة عند الخصومات والشدائد، حيث يقول:

غلب تشلر بالدخول كأنها *** جنّ البدي رواسيا أقدامها⁽³³⁾.

يقول الزوزني في شرحه لهذا البيت: "هم رجال غلاظ الأعناق كالأسود، أي خلقوا خلقة الأسود، يهدد بعضهم بعضا بسبب الأحقاد التي بينهم، ثم شبههم بجنّ هذا الموضع ثباتهم في الخصام والجدال"⁽³⁴⁾.

فهؤلاء القوم تيّن لهم الجن مواطن القوة والشدّة، ولذا نراهم في مواضع المدح والرفعة يتشبهون بها، ونرى لها فيه أوفر نصيب، بل هي مصدر إلهامهم، وتغلبهم على غيرهم. وما تمدّهم به من وحي.

يتضح مما سبق أنّ للجنّ علاقة كبيرة بالخلوة والليل والظلام، ونجد عمرو بن كلثوم زاد من ربطها وعلاقتها ببعض الحيوانات التي لها صلة وطيدة بهذا الليل الحالک.

وذا البرّة الذي خدّثت عنه *** به نُحْمى ونحْمى المحجرين⁽³⁵⁾.

وذو البرّة الذي ذكره عمرو بن كلثوم هو الذي يقال له برة القنفذ وهو كعب بن زهير... وقد أورد الألويسي حكاية تدل على ارتباط القنفذ بالجن⁽³⁶⁾، فمن خلال هذا فلا ندري لعل

العرب قد ربطته بهذا الحيوان لأنه يعبر عن المنعة والرّبة والإحاطة بنفسه وحمايتها، وإلا فما هو إلا حيوان ضعيف. لكن ما السر في علاقته بالجن عندهم؟ ويمكن تفسير اعتقادهم بأن هذا الحيوان بفضل التّقلّ بالليل في الخفاء، فأشبهه بشكل خفاء الجنّ في تواجده وتأثيره. ونجد عمرو بن كلثوم قد جاءت كلمة الجنّ متعلّقة بحيوان آخر ألا وهو الكلب، فجاء في الجمهرة:

وقد هرت كلاب الحي منّا *** وشذبها قتادة من يلينا
والمعنى: "إنا قد غلبنا كل أحد حتى هرت كلاب الحي. ويروى: وقد هرت كلاب الجن، هرت منّا [نبحت وأنكرتنا]" (37).
وجاء في رسالة الجن في الشعر العربي.

وقد هرت كلاب الجن منّا *** وشذبنا قتادة من يلينا
هرت: نبحت، شذبنا: أزلنا الشوك والأغصان الزائدة، القتادة: شجرة ذات شوك.
من خلال إطلاق العرب على الشعراء، كلاب الجنّ، وما ذاك إلا لارتباط الشاعر بشيطانه ولأن الكلب من الصور التي يتشكل بها الجنّ، ولأن الكلب يتبع صاحبه، كما يتبع الشيطان الشاعر (38) فذكرت بلفظة الحي ولفظة الجنّ، لكننا لا نستبعد ذلك عنهم، فالكلاب لها علاقة بالجنّ وخاصة الكلاب السوداء، والشاعر في هذا الموضع يصوّر قوة قومه ويستهزئ بأعدائه، ولما فيه من عزة النفس والافتخار.

ولم يكتف الشعراء بذكر اسم الجنّ، فجاء في أشعارهم ذكر أنواعهم، وهذا لما كانوا يعتقدونه أنه سبب في تقديم المساعدة. فذكروا الغول وهو أحد أنواع الجنّ.

وجاء في لسان العرب: "والغول، بالضم السّعلة، والجمع أغوال وغيلان، والغول شيطان يأكل الناس، والغول: ساحرة الجنّ، والجمع غيلان، وقال أبو الوفاء الأعرابي: الغول الذّكر من الجنّ، فستل عن الأنثى فقال: هي السّعلة" (39).

فالغول عظّمته العرب لتحوّله وتشكّله، وسيطرته على مخيّلته الإنسان، أما في الاصطلاح، فالغول من أهم أنواع الجن التي سيطرت على عقليّة الإنسان الجاهلي خاصّة، وهو اسم لكل شيء من الجن يعرض للسّفار، ويتلوّن في ضروب الصور والثياب ذكرًا كان أم أنثى. (40)
فهذه الصورة التي يرى فيها الشاعر الجاهلي أن الجن ومن أنواعها الغول قد أثرت على نفسيّته

أعظم تأثير.

ونجد المتنخل بن عويمر الهذلي يقول: "وخرق تغزف الجنان فيه *** بعيد الجوف أغبر ذي انخراط" (41).

والعزيف: صوت الجن بالليل، فالشاعر يعتبر الصحراء القاحلة قفارا يُسمع صوت الجن بها كأنها في جوف بئر.

والصحراء عند الجاهليين هي موضع الخوف والهَم، وهي المسكن الرئيسي للجن والغيلان والشیاطين، ولهذا تُسمع أصواتها وعزيفها، ولا يكون ذلك بزعمهم في الأماكن التي يكون بها القوم قد نزلوا.

ويعرض الأعرشي صوتا آخر للجن: "وبلدة مثل ظهر الترس موحشة *** للجن بالليل في حافاتها زجل" (42).

فهذا المعتقد عندهم قد بُني على أوهم وتخيُّلات، فهم يزعمون أن أصوات الجن بالليل معلومة وخاصة في الفلاة.

وأما في الحديث عن الغول خاصة يقول كعب بن زهير: "فما تدوم على حال تكون بها *** كما تلون في أثوابها الغول" (43).

فهذه النظرة التي يجسدها كعب بن زهير في هذا البيت هي حقيقة الإيمان الصادق لما يدور في ذهن الشاعر العربي، من قضايا التحوُّل وجعلها بهذه الصورة.

فالغول والجن عندهم هي مصدر للانتباه ودغدغة بعض الأحاسيس. وإن كان كعب قد عاصر صدر الإسلام ويعلم أن الجن كما حكى عنه الآيات القرآنية من شكلها وتأثيرها على الإنسان.

وقد صوّرها الشاعر حسب ما يراه الفرد العربي، أكثر مما يراه المسلم، فهي مصدر قلقه

وتوتره وسعيه إلى إيجاد وسيلة يتخلص بها من همومه وهواجسه.

وقد صوّر الشاعر في موضع آخر الحرب بالغول لما تُلحقه بالإنسان من الويلات ولاختلاف

نتائجها.

والحرب غول أو كسبه الغول *** تُدَقُّ بالرايات والطبول.

"وهذا ما كشفه كعب بن زهير بتصوير المرأة بالغول في تقلُّبها وتلوُّنها، ولم يجد الشعراء أفضل من قرن الحرب والمرأة بالغول بهدف التعبير عما تحمله نفوسهم من مشاعر الاشتماز والتفوق من

هذه الأمور" (44).

ونجد أحیحة بن الجلاح وهو يصوّر الذّهر وحالاته وتقلباته في مطلع قصيدته في المذهبات:

"صحوث عن الصّبا والذّهر غول *** ونفس المرء آونة قُتُول" (45).

فالذّهر عند الشّاعر هو ذاك الشّبح الذي تهابه النفوس، بل سبب خوفها ودعوتها إلى الرّهبّة. فهو يريد أن يربط بين سرعة الجنّ في التّقلب والزّمن في تحولاته بهذه الحالة. ليؤثّر ذلك جلياً في نفسيته، ولما يعيش فيه من هواجس والتفكير في الغيبيّات، إذ يقول أيضاً:

وما يدري الفقير متى غناه *** وما يدري الغني متى يعيل" (46).

ويشارك كعب بن زهير مع مُذهبة أبي قيس بن الأسلت إذ يقول:

أنكرته حتى توسّمته *** والحرب غول ذات أوجاع" (47).

ففي هذا البيت يصوّر الشّاعر الحرب وبشاعتها فهي كالغول في تقلّباتها ولا تعود على صاحبها بخير قط، فهو يتوسّمها ويقرأ في طياتها المرارة. "فوظيفة الشاعر تكسير الحواجز بين المادة والعقل، وبين العالم الخارجيّ والداخلي، فهو يصوّر ما تلحقه الحرب بالإنسان من آلام ومصائب بالغول" (48).

وإنّ صورة الجنّ والغول لم تكن مختلفة عند العرب سواء في الجاهليّة أو في الإسلام بل حتى العصر الأموي الذي رسى فيه الإسلام دعائم الخلافة الموروثة، بعدما كانت شوري، فنجد الرّاعي وهو يمدح الخليفة عبد الملك بن مروان ويبيّن حالة الولاة وطريقة حكمهم.

وما أتوا به من خوارق وأشياء جديدة إذ يقول في ملحمة:

إنّ السّاعة عصوك يوم أمرتهم *** وأتوا دواهي لو علّمت وغولا" (49).

فهذه الصورة التي هي في العصر الأموي وعلى مدى انتشار الإسلام وبيان القوّة الإلهية والقدرة الرّبانيّة التي تتصرف في الكون، إلا أن حالة الدّهاء والانتقال والتحول لم يجدوا ما يصورنها به إلا هذه القوى الخفيّة ألا وهي الجنّ الغول.

وتبقى صورة الجنّ عند الشّاعر العربي عالقة بذهنه، فكل صورة لم تكن على الحالة العادية فهي وليدة فعل خفي من قوة خفيّة يفسّر بها العقل بالجنون أو الجن، فالأفعال الغريبة أو التّصرفات الطّارئة لا تفسّر لها إلا بهذا العالم، بل لم يكتفوا بربط الصّور هذه بها حتى توصّل هذا عندهم في تفسير بعض الظّواهر الطبيعيّة فيقول ذو الرمة في ملحمة:

غدا كأن به جنّاً تَدّاء به *** من كل أقطاره يخشى ويرتقب" (50).

فبعد أن وصف طلوع الفجر وذهاب الليل وظهور السماء بعد أن اختفى السحاب وإنجاب، فصور حالة الثور بعد هذا " ويريد غدا الثور كأن به جنونا، يقال به جن أو جنون تأتيه من كل وجه " (51).

ومن خلال عرضنا لهذه الأمثلة والتي يتضح فيها اهتمام القرشي بهذه القضية، التي تُعد من صميم العملية الإبداعية في الشعر العربي. وما كان يُراود الشعراء في هذا العالم الخفي والغيب، إلا أنها تتجلى إشارة القرشي للجن في موضع إلهام الشعراء، وبيان أحوالهم وما أضفوه في قول الشعر.

لم يربط المؤلف بين ما ذكره في المقدمة وفي القصائد المختارة لعلاقة الشعراء بالجن ومشاركتهم في المسيرة الشعرية بين إلهام ودفاع، جمال أدب... تصور القصائد الجن والغيلان في هذه الأبيات حالة الفرد العربي وحياته ونظرته لهذا العالم الغيبي.

ومهما يكن فإن هناك علاقة وطيدة بين الشعراء والجن، وهذا ما جعلهم يوظفونها في أشعارهم وتناولونها في قصائدهم الهوامش:

- 1 - أبو زيد القرشي، جهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق على محمد البجاوي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، (د ط)، 1981، ص 44.
- 2 - حليلة خالد رشيد صالح، الجن في الشعر الجاهلي، مذكرة ماجستير بجامعة النجاح، نابلس، 2005، ص 140.
- 3 - القرشي، جهرة أشعار العرب، ص 47.
- 4 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1967، ج 6 ص 80.83.
- 5 - ينظر حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر الجاهلي، ص 146 - 147.
- 6 - القرشي، جهرة أشعار العرب، ص 51.
- 7 - حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر الجاهلي، ص 149.
- 8 - شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 24، 2003، ص 197.
- 9 - الجاحظ، الحيوان، ج 06، ص 229.
- 10 - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2000، ج 03، ص 43.
- 11 - القرشي، جهرة أشعار العرب، ص 51.
- 12 - المصدر نفسه، ص 52.
- 13 - المصدر نفسه، ص 63.

- 14- الرافي، تاريخ آداب العرب، ج 03، ص 43.
- 15- امرؤ القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 5، 2009، ص 325.
- 16- المصدر نفسه، ص 322.
- 17- حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر العربي، ص 144-145.
- 18- الأعشى الكبير ميمون بن قيس، الديوان، تحقيق محمد حسين، مذكرة ماجستير، إشراف طه حسين، 1940، ص 125.
- 19- حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر العربي، ص 141.
- 20- المرجع نفسه، ص 142.
- 21- الأعشى، الديوان، ص 221.
- 22- ينظر القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 53.
- 23- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 196.
- 24- حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبد المهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1994، ص 106.
- 25- عمرو بن كلثوم، الديوان جمعه وحققه وشرحه، أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 1، 1991، ص 122.
- 26- تأبط شرا، الديوان، اعتنى به عبد الرحمان المصطفاوي، دار المعرفة، لبنان، ط 1، 2003، ص 67.
- 27- ينظر عبيد بن الأبرص، الديوان شرح أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 1، 1994، ص 128.
- 28- حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر الجاهلي، ص 149.
- 29- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 31.
- 30- حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر الجاهلي، ص 152.
- 31- ينظر القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 130.
- 32- حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر العربي، ص 226.
- 33- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 246.
- 34- الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 162.
- 35- ينظر القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 289.
- 36- ينظر حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر العربي، ص 170.
- 37- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 282.
- 38- حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر العربي، ص 175.
- 39- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ط) (د ت)، ج 11، ص 506-512.
- 40- ينظر حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر العربي، ص 95.
- 41- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 487.
- 42- أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار النصر للطباعة والنشر، (د ط) (د ت)، القوى الخفية ومصادر الإلهام الشعري: قراءة لنفسية الشاعر العربي القديم ————— د. علي كرباع

- ص 152.
- 43 - القرشي، جبهة أشعار العرب، ص 633.
- 44 - حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر العربي، ص 279.
- 45 - القرشي، جبهة أشعار العرب، ص 517.
- 46 - المصدر نفسه، ص 518.
- 47 - المصدر نفسه، ص 522.
- 48 - حليلة خالد رشيد، الجن في الشعر العربي، ص 251.
- 49 - القرشي، جبهة أشعار العرب، ص 736.
- 50 - المصدر نفسه، ص 768.
- 51 - ذو الرمة، الديوان شرح الخطيب التبريزي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1996، ص 44.

Hidden power and sources of poetic inspiration reading of the psychology of the ancient Arab poet

Ali KERBAA *

Abstract:

This article deals with the issue of hidden power in Arabic poetry, and the sources of poetry inspiration, or so-called demons of poetry, by addressing the creative process and its reasons, through its relationship to the hidden science (Jinn), and the talk of poets about them and their demons.

Keywords: Poetry - Hidden Powers - Inspiration - Old Arabs.

* Faculty of Arts and Letters - University of El-oued -Algeria.